النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله في الدرجات العلا ونحن أسفل منك فكيف نراك فأنزل الله هذه الآية ومن يطع الله يعني في أداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول في السنن التي سنها فأولئك مع الذين أنعمت عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة من النبيين يعني المطيعين مع النبيين في الجنة لا أنهم يرون رؤية الأنبياء في الجنة ومجالستهم لا أنهم يكونون في درجتهم في الجنة لأن ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول والصديقين الصديق الكثير الصدق وفعيل من الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالجه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر فإنه هو الذي سمي بالصديق من هذه الأمة وهو أفضل أتباع الرسل والشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم أحد والصالحين جمع صالح وهو الذي استوت سريرته وعلانيته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديق أبي بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة وحسن أولئك يعني أنهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كأنه قال وما أحسن أولئك رفيقا يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وإنما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لأن العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا وعن أنس أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بأعمالهم وقوله تعالى ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من وصف الثواب الفضل من الله يعني الذي أعطى الله المطيعين من الأجر العظيم وكفى بالله عليما يعني بجزاء من أطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما يعني بعباده فهو يوفقهم لطاعته وفيه دليل على أنهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل إنما نالوها بفضل الله ورحمته ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضله ورحمته لفظ البخاري ولمسلم نحوه قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر هاهنا السلاح يعني خذوا أسلحتكم وعدتكم لقتال عدوكم وإنما سمي السلاح حذرا لأنه يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا حذركم ولقائل أن يقول إذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر والجواب عنه بأنه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الأمر بأخذ الحذر من قضاء الله وقدره فانفروا ثبات أي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية أو انفروا جميعا يعني أو اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى جهاد عدوكم وإن منكم لمن ليبطئن نزلت في المنافقين وإنما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الإيمان في الجنسية والنسب وإظهار كلمة الإسلام لا في حقيقة الإيمان والمعنى وإن منكم لمن يتثاقل ويتأخر عن الجهاد وهو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وكان رأس المنافقين فإن أصابتكم مصيبة أي قتل وهزيمة قال يعني هذا المنافق قد أنعم الله علي يعني بالقعود إذ لم أكن معهم يعني مع المؤمنين شهيدا يعني حاضر الوقعة فيصيبني ما أصابهم ولئن أصابكم فضل من الله أي فتح وغنيمة ليقولن يعني هذا المنافق كأن لم تكن بينكم وبينه مودة أي معرفة ومودة في الدين والمعنى كأنه ليس من أهل دينكم وذلك أن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر يا ليتني كنت معهم في تلك الغزوة التي غنم فيها المؤمنون فأفوز فوزا عظيما أي فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة قوله عز وجل فليقاتل في سبيل الله هذا خطاب للمنافقين فليخلصوا الإيمان وليقاتل

في سبيل الله

٢٣٧

في سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين أي فليقاتل المؤمنون في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة أي يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لأنه استبدل عوضا بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم في الحياة الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لأهل الإيمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أي فيستشهد أو يغلب يعني يظفر بعدوه من الكفار فسوف نؤتيه يعني في كلا الحالتين الشهادة أو الظفر نؤتيه فيهما أجرا عظيما يعني ثوابا وأجرا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة لفظ مسلم قوله عز وجل وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله قال المفسرون هذا حث من الله تعالى على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المستضعفين من أيدي الكفار وفيه دليل على أن الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والأذى والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال ابن عباس يريد أن قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كانوا بمكة يلقون من المشركين أذى شديدا وقيل أهل مكة قد اجتمعوا وأن يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالأذى لهم وكانوا مستضعفين في أيديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لأن المراد خلاصهم الأذى عنهم عن ابن عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت أنا وأمي من المستضعفين وفي رواية ابن أبي مليكة قال ابن عباس إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأمي ممن عذر الله أنا من الولدان وأمي من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون والمستضعفين إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فإنهم ممن عذر الله في ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم أهلها يعني الظالم أهلها أنفسهم بالشرك لقوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم وذلك أن المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة إلى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا أخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم أهلها بالشرك واجعل لنا من لدنك وليا يعني وليا يلي أمرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا يعني ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى أمرهم ونصرهم واستنقذهم من أيدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن أسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف من القوي قوله عز وجل الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله يعني في طاعة الله وإعلاء كلمته وابتغاء مرضاته والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت يعني في طاعة الشيطان فقاتلوا أولياء الشيطان أي فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار إن كيد الشيطان كان ضعيفا الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال ومعنى كيده ما كاد المؤمنين به من تحزيبه أولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لأنه خذل أولياءه الكفار لما رأى الملائكة حين نزلت يوم بدر وكان النصر لأولياء الله وحزبه على أولياء الشيطان وحزبه وإنما كان في قوله كان ضعيفا التأكيد لضعف كيد الشيطان قوله عز وجل ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الأسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص وجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله

فيستشهد

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)